الحديث النبوي الشريف في الدراسات اللغوية وخصائصه

أ. عصام خروبي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ملخص:

مما لاشك فيه أن المكانة التي حظي بها الحديث النبوي الشريف كونه المصدر الثاني للتشريع قد أهلته لان يكون له من الخصائص التي جعلت منه منبعا للدراسات اللغوية مما فجر البحث في البلاغة النبوية.فجاء هذا البحث مقسما إلى مبحثين أساسيين : الأول يعنى عرض جهود الدارسين السابقين والمعاصرين والثاني يختص بمظاهر البلاغة النبوية.

Summary

Hadith of prophet Mohammed has a Great position , because it regardes as the second source of legislation that promotes it to have certain characteristics .thus depending on this features , Hadith of prophet becomes a valid source for language studies,so new research engenders to invistigate the eloquence of prophet's language .

This research is devided into two essoncial studies ,the first one introduces the eforts of the previous and the contemporary researchers,the second study includes the main aspects of prophet's eloquence.

إن المكانة التي حظي بها الحديث النبوي الشريف- كونه المصدر الثاني للتشريع الإسلامي- قد أهلته لأن يكون له من الخصائص والميزات، جعلت منه منبعا للدراسات والأبحاث لتحقيق الغايات الدينية والقضايا التشريعية ومن ثم تحقيق الغايات الأدبية واللغوية والبلاغية.

وإذا كان القرآن الكريم هو كلام الله تعالى المعجز أنزل على أمة عربية تعتز بالفصاحة وتتبارى بالمعارضة بالحروف والمبارزة بالبيان، اقتضت الحكمة الإلهية أن يؤيد الرسولﷺ بالمعجزة الباهرة وبالغاية العليا في البيان والتبليغ.

وقد نبهه الله إلى ضرورة أن يبلغ الغاية في البيان في عرض الدعوة قال تعالى : ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴾[1].

وقد اصطفى الله له ما شاء من صور التعبير، وقد وصف بأنه واضع في اللغة ومشقق فيها، لم يسمع الناس بكلام أعم نفعا ولا أصدق لفظا ولا أعدل وزنا، ولا أجمل مذهبا ولا أكرم مطلبا، ولا أحسن موقعا، ولا أفصح عن معناه من كلامه – صلى الله عليه وسلم -فبهرهم بجزالة المعنى، وفخامة اللفظ، وإحكام النظم، وحسن السياق.

يخاطب كل قبيلة بلغتها وبلهجتها مهما تعددت اللغات وتنوعت اللهجات، بل الأعجب عليه الصلاة والسلام يحاورها بأفصح أسلوب عرفته لهجتها، كأنه نشأ فيهم وأقام بينهم، يخاطب كل فرد على قدر حاله وأن تكون ألفاظه ملائمة لمعانيه حتى بلغ كلامه مكانة في قلوب السامعين قال تعالى في ذلك: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[2].

أخذ بكل أسباب القول الوسيم الرقيق والأسلوب العذب الأنيق، السهل الممتنع الذي تصافح معانيه الأسماع ثم تتسرب إلى جامع القلوب.

فكان مدده القرآن وأداته البيان الناصح في مجتمع عرف بالفصاحة والتزيين بالشعر، والتجمل بالبيان، فكان سيد المجتمع أدبا وفضلا وصدقا وأمانة قبل البعثة، وفصاحة وبلاغة وبيانا وإلهاما، بعد نزول الوحي، أفصح الخلق، أعلم من تكلم

[1] سورة النساء. 63

[2] سورة النمل. 64

بالصواب ، صاحب البلاغة والبيان، خطيب الخلق إذا جلسوا حظي ببدائع الحكمة، تلقى القرآن من فصيح لسانه، واضح البيان والعرفان كان خلقه القرآن.

حديثه ألذ من البيان للعارف، وألذ من النظر للبصير، وللسمع للسامع وهذا وإن أحاديث رسول الله- صلى الله عليه وسلم -في توجهه للمسلمين وتربيتهم وغير ذلك التي صيغت بأساليب البيان المختلفة من الوفرة بمكان.

فكان جريا بالباحثين والدارسين أن يهتموا بأحاديثه ويدرسوا جماليات كلامه وأقواله، فجانب البيان النبوي كان لا يزال في حاجة إلى المزيد من الجهود لإبانته وعدد من البحوث لتجليته فإن الدراسات في هذا الميدان حظها ضئيل جدا، وإذا كنا نستشهد بالحديث النبوي الشريف ونقيم عليه أحكام شرعية فكيف نبعده عن الدراسات.

إشكالية البحث:

يحاول هذا البحث أن يجيب عن الأسئلة التالية –قدر المستطاع- وهي إذا كانت بلاغة الرسول ﷺفي الطبقة الثانية بعد بلاغة القرآن التي تميزت بالإعجاز في نظمه وأسلوبه . فبماذا تميزت بلاغة الرسول ﷺعن بلاغة العرب من حيث التراكيب والأسلوب؟ وماهي التراكيب التي ابتكرتها الصياغة النبوية؟ ومامدى تأثير هذا البيان في النفوس؟

وقد اعتمدت على المنهج:

1/ الاستقرائي: يتمثل في استقراء الدراسات الأدبية في البلاغة النبوية .

2/ التحليلي: يتمثل في تحليل مظاهر البيان النبوي وخصائصه.

تناولت في هذا البحث :

1. الحديث النبوي في الدراسات اللغوية المعاصرة.

2. مظاهر البلاغة النبوية.

أولا : جهود الدارسين والعلماء في البيان النبوي :

لقد ظفر الحديث النبوي الشريف بجهود ضخمة في نقده والتحري، والدقة والتثبت من صحة نسبه إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

والحق أن أحدا من العظماء لم تغربل آثاره بموازين أدق مما صنع علماء المسلمين مع نبيهم –صلى الله عليه وسلم– وقد استطاع هؤلاء أن ينفوا عنه – ﷺ– الأحاديث الموضوعة فالفقهاء استنبطوا منها الأحكام، وعلماء الحديث فسروها وأدركوا ما فيها من هدى وحكمة ومثل عليا تسمو بالإنسان، وأهل اللغة استفادوا من ألفاظها وتراكيبها وصورها، وأما المهتمين بالدراسات البلاغية فقد أخذوا يتوسمون أثرها فيما أحدثت من معان وتعابير فصيحة وجمل خالدة وبيان ساطع.

وحاولت عرض جهود الدارسين السابقين المعاصرين في الدراسات اللغوية والبيانية في الحديث النبوي الشريف :

ولعل أقدم العلماء الذين تكلموا عن أسرار البيان النبوي عمرو بن بحر الجاحظ الذي أطال الحديث فيما يخص البيان النبوي وخصص له نصيبا مطولا في وصف البلاغة النبوية"هو الكلام الذي قل عدد حروفه،وكثر عدد معانيه،وجل عن الصنعة ونزه عن التكلف،استعمل المبسوط في موضع البسط والمقصور في موضع القصر،وهجر الغريب الوحشي،ورغب عن الهجين السوقي،فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة،ولن يتكلم إلا بكلام قد حف بالعصمة وشيد بالتأييد ،وهو الكلام الذي ألقى الله عليه المحبة ،وغشاه بالقبول وجمع له بين المهابة والحلاوة وبين حسن الإفهام وقلة

عدد الكلام،مع استغنائه عن إعادته وقلة السامع إلى معاودة لم تسقط له كلمة،ولا زلت له قدم ولا بارت له حجة ولم يقم له خصم [1].

أما أبو حيان التوحيدي فقد خصص جزءا كبيرا لدراسته من الوجهة البيانية ويمدح فيها مدحا رائعا لفصاحة الرسول ﷺفي كتابه "البصائر والذخائر" يقول "والثاني سنة رسول الله فانها السبيل الواضح والنجم اللائح والقائد الناصح والعلم المنصوب والأمم المقصود والعناية في البيان والنهاية في البرهان والمفزع عند الخصام والقدوة لجميع الأنام" ونلتمس تلك العناية عند أبي العباس بن يزيد المعروف بالمبرد (ت 285 هـ) في كتابه "الكامل" الذي زخر بفنون الأدب.يقول: قال رسول الله ﷺ" ألا أخبركم بأحبكم إلي وأقربكم مني مجالس يوم القيامة.أحسانكم أخلاقا الموطئون أكنافا ....."أكنافا:مثل وحقيقته أن التوطئة هي التذليل والتمهيد. وتأويل الأكناف هي الجوانب.يقال في المثل: فلان في كنف فلان.[2]

ومن تلك الجهود ما كتبه أبو هلال العسكري (ت 394 هـ)، فقد أبدع في كتابه "الصناعتين" نصوص ما بين خطبة ورسائل وحديث، وذكر طائفة من الأحاديث النبوية في الإيجاز والاستعارة.

---

[1] البيان والتبيين ،أبو عمر بن محبوب الجاحظ (ت 255 هـ) ، ط1،ت : علي أبو ملجم، مكتبة الهلال بيروت، 1408 هـ (2/ 12).

[2] الكامل في اللغة والأدب، أبو العباس محمد بن يزيد (ت 285 هـ)، مطبعة مصطفي محمد، مصر (1/ 7).

ومن أمثلة التي ذكرها قوله سمع رسول الله ﷺرجل يقول كفاك الله ماأهمك: فقال هذه البلاغة ،وهذه إشارة منه ﷺإلى الإيجاز

ولعل العالم الوحيد الذي قدم دراسة طيبة وهو الشريف الرضى (ت 406 هـ) إذ جمع أحاديث وشرحها بأسلوبه يقول في مقدمته " هذا الكتاب المجازات النبوية يجمع كثيرا مما وقع في كلام رسول الله – ﷺ– مع جوامع الكلام شرط فيه جامعه أن يكون كل ما يأتي به من مختار كلامه – ﷺ– مشتملا على مجاز أو كناية دقيقة"[2].

ولكن مما يؤخذ عليه ذكر أحاديث دون الإشارة إلى سندها ودرجة صحتها في مجال البحث العلمي، وفي هذا الكتاب ظهرت الدراسة التخصيصية البيانية ولم تظهر من قبل كما تحدث ابن رشيق القيرواني (ت 463 هـ) عن المقاييس البلاغية والمجاز في أكثر من ستين صفحة [3].

وهناك عناية لا تقل عما درسه الشريف من حيث إيراد الشواهد والأمثلة الكثيرة من حديث رسول الله ﷺ– وهذا ما نجده في كتاب " أسرار البلاغة " لعبد القاهر الجرجاني (ت 471 هـ)، وذكر أحاديث في باب التجنيس وباب الاستعارة . ومن أمثلة ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم" إياكم وخضراء الدمن" الشبه مأخوذ للمرأة من النبات.وكلاهما جسم.....والقصد الشبه العقلي بين المرأة الحسناء في منبت

---

(1) الصناعتين الكتابة والشعر،أبي هلا الحسن بن ابي عبدج الله بن سهل العسكري (ت395هـ)،ط1، ص138.

(2) المجازات النبوية، الشريف الرضى (ت 406 هـ) ت: مصطفى محمود، مصطفي البابي الحلبي، مصر. (1356 هـ - 1937م)، ص4.

((3) العمدة في صناعة الشعر ونقده، ابن رشيق القيرواني (ت 463هـ) ط1، ت: أمين هندية، مصر(1344هـ- 1965م). (1/ 9 -168).

السوء.....وطيب الفرع مع خبث الأصل.وقوله صلى الله عليه وسلم: "مثل أصحاب كمثل الملح في الطعام لايصلح الطعام إلا بالملح "والتشبيه عقلي وهو أن الناس يصلحون بهم كما يصلح الطعام بالملح [1].

ويسوق ابن الأثير (ت 622 هـ) في كتابه المثل السائر ما يزيد عن مئة حديث استخلصها وعرض في كل حديث لفن بلاغي أو أكثر برهن به على جودة الكلام وحسن مجيء الفن التعبيري في موضعه.

حيث تناول الصورة البيانية من تشبيه واستعارة في الجزء الثاني ومن الأمثلة قول النبي ﷺ:" هل يكب الناس على مناخرهم في نار جهنم إلا حصائد ألسنتهم" كأنه قال كلام الألسنة كحصائد المناجل،وقوله ﷺ"هذا جبل يحبنا ونحبه"فإضافة المحبة إلى الجبل من باب التوسع [2]ولقد رد المناوي على هذا القول وقال محبة الجبل حقيقة لأنه من الإعجاز الغيبي. وتناول الأسلوب الكنائي في الجزء الثالث"[3].

ومن بين تلك الجهود كالذي في كتاب " البديع" لأبي العباس عبد الله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد (ت 292 هـ).ومن أمثلة: قول النبي صلى الله عليه وسلم:" داء الأمم الذين من قبلكم الحسد والبغضاء وهي الحالقة. وهي حالقة الدين لا حالقة الشعر" وقوله صلى الله عليه وسلم" خير الناس رجل ممسك

---

[1] ينظر: أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني (ت 471). ط2، ت : محمد الاسكندراني، محمد سعود دار الكتاب العربي، بيروت (1418هـ- 1998 م) ص100

[2] ينظر: المثل السائر : ابن الأثير ضياء الدين (ت 622هـ) ط1 ، ت : أحمد الحوفي، بدوي طبانة دار الرافعي، الرياض (1403-1987م)، (2/ ص117)

[3] ينظر: المثل السائر : ابن الأثير (3/ 64-75).

بعنان فرسه في سبيل الله كلما سمع هيعة طار إليها " قال ابن المعتز وهذا يدخل في باب البديع من وجه الاستعارة [3].

ومن أولئك العلماء من عني بالتأليف في الغريب جار الله محمـود بن عمر الزمخشري (ت 582 هـ) في كتابه " الفائق في غريب الحديث ".

وعلم الغريب علم يهدف إلى الكشف عن معاني ألفاظ الحديث التي قد تخفى على الكثيرين خصوصا بعد أن انحسرت السليقة العربية، وضرورة فهم الحديث، والكشف عن معانيه دعت العلماء إلى التصنيف فيما تحقق هذه الغاية، فكان علم غريب الحديث.

ومن الأمثلة التي ذكرها الزمخشري ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال النبي ﷺ" إذا زنت الأمة فتبين زناها فليجدها ولا يثرب، ثم إن زنت فليجلدها ولا يثرب ثم إن زنت الثالثة فليبعها ولو بحبل من شعر" [1]. وفي رواية " ثم بيعوها ولو بضفر" [2] قال الزمخشري الضفير هو الحبل المفتول من الشعر[3].

وامتدادا لجهود أولئك العلماء في القديم نرى جمعا من العلماء المعاصرين يتناول الحديث من هذه الجهة، فيدرس النص دراسة بلاغية، محاولا استخراج صنوف البيان فيه وأولى هذه المحاولات كانت لمصطفى صادق الرافعي (ت 1937 م) في كتابه

---

[1] صحيح البخاري، البخاري، كتاب البيوع، باب بيع العبد الزاني (3/ 88).

[2] صحيح البخاري، البخاري، كتاب المحاربين من أهل الردة والكفر، باب إذا زانت الأمة (8/ 213).

[3] الفائق في غريب الحديث، جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت 582هـ)، ط1، دار الكتب، بيروت، لبنان، (1417هـ-1996م)، حرف الضاد، (2/ 287).

"إعجاز القرآن والبلاغة النبوية" حيث خصص ستين صفحة من الكتاب تناول فيه البلاغة النبوية والبيان النبوي.

بدأ الرافعي حديثه عن البلاغة النبوية بمقدمة تلمح بمعجزة البيان النبوي بقوله : " سجدت الأفكار لآياتها، وحسرت العقول دون غايتها. ألفاظ يعمرها قلب متصل بجلال خالقه ويصقلها لسان نزل عليه القرآن بحقائقه، فهي إن لم تكن من الوحي، ولكنها جاءت في سبيله وإن لم يكن لها منه دليل فقد كانت هي من دليلة" [1].

إنه فعلا يستدعي ممن يدركون بلاغة القول انحناء وسجودا لبلاغته – ﷺ– وقد سجدت لبلاغته العقول لما فيه من أناقة التعبير وبراعة التصوير، وأصالة التفكير وحلاوة الأنغام، وحرارة الحركة، ومعنى الخلود، فإذا تكلم خرت رؤوس السامعين ساجدين لهذه الفصاحة، ما استطاع أحد أن يأخذ عليه ما أخذ على غيره من عثرة اللسان، ولا كلمة ينبغي أن يكون غيرها ولا جملة زادت أو نقصت عن حاجتها.

ويتحدث الرافعي على أنه – ﷺ– كان موجز اللفظ يقصد إلى الهدف ويهدي إلى الجادة في القول كما هدى إليها في الفعل، هذا ولغلبة الإيجاز على كلام النبي – ﷺ– في غير تكلف ولا عناء مع بلوغ الغاية، كان إعجاب الصحابة. وفي الحق إن ذلك ناحية الامتياز الكبرى في بيانه – ﷺ– فإن اجتماع الكلام بقلة الألفاظ مع اتساع معناه وإحكام أسلوبه في غير تعقيد.

وهذا الأسلوب له طابع فريد يلوح في فنون أدبه وتضاعيف حديثه أنه طابع الخلوص والقصد والاستيفاء، كما قال الرافعي " أما الخلوص يعني النفاذ إلى العقول

[1] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، (1973م)، ص 279.

من طريق سهل يسير، وبالقصد والإيجاز الذي تحل فيه الكلمة محل جملة مترادفات، وبالاستيفاء وقوع الكلام تاما مبسوطا لا ينقطع دون الغاية.[1] وهذه إشارة إلى انفراده – ﷺ– بجوامع الكلم، وقد أشار محمود النووي إلى ذلك " فان اجتماع الكلام بقلة ألفاظه مع اتساع معناه وإحكام أسلوبه في غير تعقيد واطراد ذلك في كل معنى وفي كل باب لم يعرف لأحد قبله... ذلك كان توفيقا لا إقلالا وإصابة لا عجزا دليلا على أنها بلاغة مبعثها الوحي ومن أمثلة قوله عليه الصلاة والسلام :"هدنة على دخن " قال الرافعي والهدنة الصلح والموادعة وهذا في تصوير الفساد الذي تنطوي عليه القلوب الواغرة ،ومن الأمثلة قوله عليه الصلاة والسلام:" الآن حمى الوطيس" وقوله كذلك:" بعثت في نفس الساعية " وقوله عليه الصلاة والسلام" مات حتف أنفه" قال علي بن أبي طالب ماسمعتها عن عربي قبله[2]

وفي هذه الكلمات تفسيرا جليا محكما لقوله تعالى " **وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى** "[3] وقوله تعالى: ﴿ **وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا**﴾ [4] وأما الكتاب الثاني فهو وحي القلم تحدث عن البلاغة النبوية في ثلاثين صفحة.

وامتداد للجهود التي تتصل بالبيان النبوي الشريف في العصر الحديث " الحديث النبوي من الوجهة البلاغية " للدكتور عز الدين السيد، حيث أورد نماذج

---

(1) المصدر نفسه، ص338.

(2) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ،مصطفى الصادق الرافعي.(ت1937م)،ط8،ت:محمد رشيد رضا،مكتبة رحاب،الجزائر.ص323-329

(3) سورة النجم : 04.

(4) سورة النساء : 113.

كثيرة طبق عليها القواعد البلاغية وذكر أحاديث في باب المجاز المرسل والمجاز العقلي والكناية.

وكما تحدث محمد بن لطفي الصباغ في كتابه " التصوير الفني في الحديث النبوي الشريف" وهي محاولة جادة خص فيها الحديث بالدراسة البلاغية أشار فيها إلى أن الحديث نص أدبي يرتفع في أدبنا العربي إلى أعلى مستوي يمكن أن يبلغه بيان بشر، وذكر أن عنوان الكتاب ليس مضاهاة لعمل الأستاذ سيد قطب " التصوير الفني في القرآن " قال : " ومع اعترافي الكبير بفضله علي وعلى جيلي فيه فإنني أحب أن أقرر أن هذا العمل يختلف اختلافا بينا عن اتجاه كتاب الأستاذ من حيث المنهج والمعالجة ومن الأمثلة قوله ﷺ:" هذا جبل يحبنا ونحبه" قال: فجبل أحد هذا الجماد قد استحال بسحر الاستعارة إلى إنسان يجيش قلبه بعاطفة الحب [1].

ويورد صور فنية رائعة يقول " وسنجد في الحديث صورا رائعة جديدة تماما تبعد عن إطار الصور المألوفة المتكررة في الشعر الجاهلي ونثره، وأن الصدق الفني والبصيرة النافذة من العناصر الأصلية في التعبير في الحديث النبوي بحيث يبتعد عن الأشكال التقليدية... اعتمد الحديث على وسائل لم تكن معروفة لدى العرب في شعرهم ونثرهم كالوصف والقصة والتجسيم والرسم والإثارة والموازنة [2].

وقد جاءت خصائص العلو البياني واضحة في الكلام النبوي وازداد وضوح هذه الخاصية عند محمد رجب البيومي عندما يقرر أن القرآن الكريم أستاذ محمد –

---

[1] التصوير الفني في الحديث النبوي الشريف، لطفي الصباغ، ط1، (1409 هـ - 1988م)، بيروت، المكتب الإسلامي، ص 595.

[2] التصوير الفني في الحديث النبوي الشريف، لطفي الصباغ، ص 419.

ﷺ" يقول لقد اختار الله محمد – ﷺ- من بين آلاف الفصحاء من قومه ليعجزهم بفصاحة القرآن، ووكل إليه أن يفسر كتابه ويبين وحيه "[1]. ثم تحدث عن النشأة التي عاش فيها، فقد ولد في بني هاشم، ونشأ في قريش، واسترضع في بني سعد، وتزوج في بني أميه وهاجر إلى بني عمر، وهذه القبائل كلها أخلص القبائل لسانا وأفصحها بيانا[2].

ويؤكد هذا القول أحمد شاهين عند حديثه عن نواحي الإعجاز في أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم، وأن معجزته تكمن في أنه لم يتح له علم ولا معرفة على يد معلم أو مرشد وكذلك لم يسمع ولا سمع أن عبقريا قد ظهرت عبقريته وخصائص نبوغه دون أن تتناول عوامل التربية المختلفة إلا محمد – ﷺ– [3].

وقد أشار إلى هذا العقاد في قوله :" ولكن الرجل قد يكون عربيا قريشيا مسترضع في بني سعد ويكون نطقه بعد ذلك غير سليم أو صوته غير محبوب أما محمد – ﷺ كان جمال فصاحته في نطقه كجمال فصاحته في كلامه "فهو صاحب كلام سليم في منطق سليم [4].

ويؤكد هذا القول أحمد كامل الخضري في قوله "إن المولى عز وجل تولى تربيته وهو الذي قام بتأديبه، وكان يكفي أن يقول له عز وجل" أنت ذو خلق عظيم". لأنه سبحانه وتعالى أصدق القائلين ولكن عز وجل قال : ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾ [5].

---

[1] البيان النبوي، محمد رجب البيومي، ص 52.

[2] المصدر نفسه، ص 57.

[3] نواحي الإعجاز في أخلاق الرسول ﷺ، أحمد شاهين، مجلة الأزهر، ج10، ص932.

[4] المصدر السابق، ص 339.

[5] سورة النجم : 04.

أكد هذا المعني بأمور ثلاثة، بأن: تفيد التأكيد، واللام في قوله "لعلى" وكلمة " على " التي تفيد الاستعلاء والتمكن، فجعله مستعليا على الخلق متمكنا به وهذا ما قاله الرسول – ﷺ– " أدبني ربي فأحسن تأديبي"[1].كما تحدث محمد ابن سعد الدبل عن البلاغة النبوية وخصائصها في كتابه

الخصائص الفنية في الأدب النبوي للدكتور محمد بن سعد الدبل : وهو كتاب يتحدث فيه عن فنون الأدب النبوي وأغراضه وعن القيم الإنسانية في الأدب النبوي ثم يتحدث عن خصائص التعبير في الأدب النبوي كاختيار الألفاظ والنظم والأسلوب المطبوع ومعاني الأدب النبوي، والصورة البيانية من تشبيه واستعارة ومجاز وكناية.ومن الأمثلة التي ذكرها في باب الجناس قوله صلى الله عليه وسلم:" الظلم ظلمات يوم القيامة" وقوله صلى الله عليه وسلم: " المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده " قال: وفيه كناية كذلك بأن كون المؤذي ليس مسلم [2] ومن الكناية قوله صلى الله عليه وسلم:"رفقا أنجشة بالقوارير" ففيه كناية لطيفة وإنما كنى عن النساء بالقوارير لأمور : لما هن عليه من حفظ الأجنة والوكاء كالقارورة تحفظ ما فيها ولاختصاصهن بالصفاء والصقالة والحسن ،ولما فيهن من الرقة والمسارعة إلى التغير وهذا الوجه الذي يومىء إليه كلام الرسول صلى الله عليه وسلم.[3]

كتاب في ظلال الحديث النبوي للدكتور نور الدين عتر : وهي أول دراسة فكرية اجتماعية وأدبية معاصرة، جمع فيها أكثر من سبعين حديث قسمها إلى ثلاثة

---

[1] مع الرسول ﷺ"أحمد كامل الخضري، منبر الإسلام، (ربيع الأول 1396 هـ)، ص 12.

[2] الخصائص الفنية في الأدب النبوي،محمد بن سعد الدبل،ط2،مكتبة العبيكان،الرياض (1414هـ-1979م)، ص215.

[3] المصدر نفسه،ص187.

أقسام في أصول الإسلام، وأحاديث أخري في حياة الإيمان والعبادة، وأحاديث في بناء أصول المجتمع.ومن الأمثلة قوله ﷺ:" لا يؤمن أحدكم حتىٰ أكون أحب إليه من والده وولده"[1] ذكر ملامح فنية في الحديث قال:" صيغة العموم الدالة علىٰ الحتمية، وهي صفة واضحة في النص.فالحصر في أول الحديث" لايؤمن أحدكم حتىٰ" حيث النفي ثم حتىٰ الزمانية. وفي هذا تأكيد وحتمية ثم استعمل صيغة التفضيل للمبالغة في قوله:" أحب " ثم التنغيم الموسيقي في تكرار الصوت "والده" و" وولده" [2] ومن الأمثلة قوله ﷺ:"اتقوا الله ولو بشق تمرة"[3] صورة عجيبة لاتقاء النار ولو بشق تمرة،حتىٰ ولوكان الشيء صغير يقف سادا اندلاع النار دون أن نحقر هذا الحقير.[4]

ومن الأمثلة التي ذكرها قوله ﷺ:" مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين. تعير هذه مرة والىٰ هذه مرة"[5] يصور الحديث حالة نفسية شاذة في الناس معقدة داخل النفس. تلك الحالة هي حالة المنافق الذي يبطن الكفر.ويظهر الإسلام لي يحصل علىٰ مغانم من المسلمين[6]

---

(1) صحيح البخاري ،البخاري ، كتاب الايمان ، باب حب الرسول ﷺمن الايمان.ج1،ص19.

(2) في ظلال الحديث النبوي،نورالدين عتر،دار الهدىٰ، عين مليلة، الجزائر.ص55.

(3) صحيح البخاري،البخاري ،كتبا الزكاة،باب اتقو النار ولو بشق تمرة. والقليل من الصدقة .ج1،ص396.

(4) المصدر السابق،ص81.

(5) المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل إلىٰ رسول الله ﷺ. مسلم ابن الحجاج بن مسلم القشيري أبو الحسن حافظ،كتاب صفة المنافقين وأحكامهم، باب صفة المنافقين، ج8،ص271.

(6) في ظلال الحديث النبوي،نور الدين عتر، ص239.

ومن بين العلماء الذين تحدثوا عن البلاغة النبوية حسام،أحمد،قاسم في كتابه دراسة دلالية لغوية "تحـولات الطلب ومحددات الدلالة" للدكتور حسام أحمد قاسم: وقد كانت الدراسة في محاولة لبناء نظرية تفسر عملية التحويل الدلالي، وبناء منهج لتحليل الخطاب النبوي الشريف ومن الأمثلة التي ذكرها قوله ﷺ:"إذا وضعت الجنازة ،فاحتملها الرجال على أعناقهم،فان كانت صالحة قالت: قدموني، وان كانت غير صالحة، قالت لأهلها: ياويلها. أين تذهبون بها ؟،حيث عدل عن بناء الفعل لما لم يسمى فاعله."وضعت " إلى بنائه للفاعل." فاحتملها الرجال" ولم يقل " وأحتملت" وقد استنبط البخاري حكما فقهيا هو اختصاص الرجال الجنازة دون النساء.[1]

وخلاصة هذه الدراسات أنها أعطت للبلاغة النبوية مكانة عالية في الدراسات الأدبية

البـاب الثانـي : مظاهر البلاغة النبوية:

حاولت في هذا الباب أن أجمع بعض المميزات أو الخصائص التي تفرد بها النبي ﷺفي كلامه وهي خصائص العلوم البلاغية والبيانية لي الحديث النبوي الشريف

وإذا كان القرآن يضفي على الأثر الأدبي جمالا وروعة إذا استشهد به في موضعه، فإن الحديث النبوي قد شاركه في هذه الميزة، ولن يحتاج في مجال الحديث عن تسلسل البيان النبوي إلا غير الاستشهاد بقوله.

إن المتتبع لأقواله – ﷺ– يلاحظ استخدامه لوسائل وفنون متنوعة، وسنعرض إلى خصائص البلاغة النبوية، وهي ليست حصرا.

---

[1] تحويلات الطلب ومحددات الدلالة، حسام أحمد قاسم، ط1، (1428هـ - 2007م)، دار الأفاق العربية، القاهرة، ص 226.

1) **الإيجـاز والاختصار**: وهي من جوامع كلام النبي عليه الصلاة والسلام حيث كان يتكلم بكلام موجز مختصر يراعي فيه أحوال المخاطبين فيجمع بين قلة الكلام وحسن الإفهام والإيجاز في الأحاديث النبوية الشريفة كثيرة جدا سأذكر مثال على ذلك :

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله – ﷺ– قال " بعثت بجوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وبين أنا نائم رأيتني بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت في يدي"[1].

قال الجاحظ " هو الكلام الذي قل عدد حروفه وكثر عدد معانيه"[2].

2) **سهولة الألفاظ** :

لم يكن يتكلم في غير حاجة، عن الحسن بن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه قال سألت خالي هند بن أبي هالة التميمي عن حلية النبي – ﷺ– فقلت صف لي منطقه فقال: "كان رسول الله – ﷺ– متواصل الأحزان دائم الفكرة ويتكلم بجوامع الكلم فضلا لا فضول فيه ولا تقصير دمثا – ليس بالجافي ولا المهين"[3].

3) **البعد عن التكلف والغموض** :

ولذلك نهى – ﷺ– عن التشدق، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: " لم يكن ﷺفاحشا ولا متفحشا، وإنه كان يقول إن خياركم أحسنكم أخلاقا"[4].

---

[1] صحيح البخاري، البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي ﷺ: "بعثت بجوامع الكلم"، (9/ 113).

[2] البيان والتبيين، الجاحظ (ت 255هـ)، (2/ 12).

[3] الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض (ت 544 هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (1/ 80).

[4] صحيح البخاري، البخاري، كتاب الأدب، باب لم يكن النبي ﷺفاحشا ولا متفحشا، (8/ 15).

4) **تصحيح المفاهيم :**

كان – ﷺ– يختار الكلمة السلسة العذبة فكانت اللغة سليمة رقيقة في لفظها، بريئة من التناقض، والتحالف والتعقيد وكان النبي صلى الله علية وسلم- يتجنب مستقبح اللغات.

عن عائشة رضي الله عنها قالت، قال النبي ﷺ: " لا يقولن أحدكم خبثت نفسي"[1]. وإنما كره ذلك حتى لا يجعل المسلم الخبث للنفس.

5) **المناسبة بين افتتاح الكلام وختامه:**

وهذا ما كان في معاهداته – ﷺ– التي أرسل بها إلى النجاشي النصراني وإلى كسرى، هذه الرسائل التي تتجلى فيها الدقة وإصابة الهدف مع الإيجاز والحذف والوضوح، ولقد أرسل محمد – ﷺ– بعض كتبه إلى النجاشي النصراني وإلى كسرى المجوسي، وقد كانت كل رسالة يراعي فيها مقتضى الحال ... وقد مات النجاشي مسلما وصلى عليه الرسول ﷺ[2].

6) **الجدة والأصالة والابتكار في الأفكار :**

هذه البلاغة من عجائب البلاغة، وغرائب الفصاحة، وجواهر العربية مما لا يوجد في غيره وأنه ميزة الله التي اختص به نبيه، وقد أرجع رجب البيومي هذه الفصاحة والبلاغة إلى جدة أفكاره ﷺ" إن قوة أفكاره التي حطمت الأفكار العقائدية

[1] صحيح البخاري، البخاري، كتاب الأدب، باب لا يقل خبثت نفسي (8/ 51).

[2] البيان النبوي، رجب البيومي، ص 113.

في النفوس، وثبت مكانها عقائد أخرىٰ وإن جدة الأفكار النبوية فهي من المسلمات منطقيا[1].

فعن عمر رضي الله عنه سمع جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال قال رسول الله –صلىٰ الله عليه وسلم– : "الحرب خدعة" [2].

وكقوله – ﷺ– "مات حتف أنفه" وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال ما سمعتها من عربي قبله.

فأول من استخدمها الرسول – ﷺ– وقوله ﷺ" بعثت في نفس الساعة " وهي من مبتكراته –صلىٰ الله عليه وسلم.

وقوله ﷺ" الآن حمىٰ الوطيس" وقد قالها النبي – ﷺ– يوم حنين [3].

7) **التعليم والتوجيه باستخدام الأسئلة :**

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ص ﷺ– قال " إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وهي مثل المسلم حدثوني ما هي، فوقع الناس في شجر البادية ووقع في نفسي أنها النخلة، قال عبد الله فاستحيت فقالوا يا رسول الله أخبرنا بها، فقال رسول الله – ﷺ– هي النخلة[4].

8) **التواصل غيـر اللفظي :**

أ) **دلالة الغضب** : كان – ﷺ– إذا غضب احمر وجهه.

---

[1] عنصر الفكرة في الحديث النبوي الشريف، محمد رجب البيومي، مجلة الأزهر، رمضان (1388 هـ)، ص 57 – 58.

[2] صحيح البخاري، البخاري، كتاب الجهاد، باب الحرب خدعة، (4/ 78).

[3] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، الرافعي، ص 316.

[4] صحيح البخاري، البخاري، كتاب العلم، باب الحياء في العلم، (1/ 43).

عن عبد الله رضي الله عنه قال: قسم النبي – ﷺ– يوما قسمة فقال رجل من الأنصار أن هذه القسمة ما أريد بها وجه الله، قلت أما والله لآتين النبي – ﷺ– فأتيته وهو في ملأ فساورته فغضب حتى احمر وجهه ثم قال " رحمة الله على موسى، أذي بأكثر من هذا فصبر[1]. وفي رواية عن ابن مسعود رضي الله عنه " فتمعر وجهه[2].

قال الزمخشري في كتابه الفائق في غريب الحديث "المغرة" في اللغة هو الذي في وجهه حمرة بياض صاف "[3].

عن كعب بن مالك رضي الله عنه قال " كان ﷺإذا سر استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر، وكنا نعرف ذلك منه"[4].عن زيد بن خالد الجهيني رضي الله عنه أن رجلا سأل النبي ﷺعن اللقطة قال:" عرفها سنة ،ثم اعرف وكائها ثم عصافها ،ثم استنفق بها ،فان جاء ربها فأدها إليه " قال : يارسول الله فضالة الغنم ؟ قال: " خذها فإنما هي لك أو لأخيك أو للذئب " قال: يا رسول الله ،فضالة الإبل ؟ قال : فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم–حتى احمرت وجنتاه –أو احمر وجه ثم قال :" مالك ولها معها حذائها ،وسقائها ،حتى يلقاها ربها .[5]

---

[1] صحيح البخاري، البخاري، كتاب الاستئذان، باب إذا كانوا أكثر من ثلاثة فلا يأمن بالمساواة والمناجاة (8/ 80).

[2] صحيح البخاري، البخاري، كتاب الأدب، باب من أخبر صاحبه فيما يقال فيه (8/ 22).

[3] الفائق في غريب الحديث، الزمخشري، حرف الميم، باب (مغر)، (3/ 253).

[4] صحيح البخاري، البخاري، كتاب بدأ الخلق، باب : صفة النبي صلى الله عليه وسلم، (4/ 229).

[5] صحيح البخاري ،البخاري ،كتاب اللقطة ،باب اذا جاء صاحب اللقطة بعد سنة فهي لمن وجدها ،ج3 ،ص126.

ب) **استعمال الرسم البياني :**

عن أنس رضي الله عنه : خط النبي ﷺخطوطا، فقال " هذا الأمل وهذا أجله، فبينما هو كذلك، إذ جاءه الخط الأقرب"[1]. وهذا ما يسمى بوسائل الإيضاح.

ج) **استعمال الإشارة بالأصابع :**

عن سهل : قال رسول الله ﷺ" أنا وكافل اليتيم في الجنة" وأشار بالسبابة والوسطى، وفرج بينهما شيء[2].

9) **الإيضاح والبيان :**

عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت " إن رسول الله – صلى الله عليه وسلم- لم يكن يسرد الحديث كسردكم "[3].

10) **الأسلوب الفريد:**

حواره آخذا بكل أسباب القول الوسيم الرقيق والأسلوب العذب الأنيق السهل الممتنع[4].

يقول معاذ السرطاوي في هذا الأسلوب " إن أسلوبه قد أعجز العرب وهم أئمة الفصاحة والبيان عن أن يقلدوه، كيف لا وهو النبي – ﷺ- المؤيد بوحي الله في كل ما ينطق أو يفعل أو يقرر [5].

---

[1] صحيح البخاري، البخاري، كتاب الرقاق، باب : في الأمل وطوله، (4/ 268).

[2] صحيح البخاري، البخاري، كتاب الطلاق، باب: اللعان، (3/ 557).

[3] صحيح البخاري، البخاري، كتاب بدأ الخلق، باب : صفة النبي ﷺ، (4/ 231).

[4] البيان المحمدي، مصطفى الشكعة، ط1، الدار المصرية اللبنانية، (1416هـ - 1995م)، ص ص 100 – 108.

[5] دراسات في الأدب العربي، معاد السرطاوي، ط1، دار مجدلاوي، عمان، الأردن، (1409هـ - 1988م)، ص 90.

ولذلك كان لخطابه تأثير في النفوس، فهو لم يتعمد الخطابة تعمدا ولم يسع إليها سعيا وإنما جرت في عروقه النابضة كما يجري الماء في فروع الدوحة المزهرة، فإذا نطق فعن طبع أصيل، وإذا خطب فعن رغبة واقتدار[1].

11) **الإيماء باليد** :

عن سالم قال: سمعت أبا هريرة وعن النبي - ﷺ- : " يقبض العلم ويظهر الجهل والفتن، ويكثر الهرج " قيل يا رسول الله وما الهرج فقال هكذا بيده، فحرفها كأنه يريد القتل[2].

12) **رفع الرأس** :

عن أبي موسى قال: جاء رجل إلى النبي – ﷺ– فقال: يا رسول الله ما القتال في سبيل الله؟ فإن أحدنا يقاتل غضبا، ويقاتل حميا فرفع إليه رأسه، قال: وما رفع إليه رأسه إلا كان قائما فقال" من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله عز وجل" [3].

13) **الإشارة بكلتا اليدين**:

عن جبير بن مطعم قال: قال رسول الله - ﷺ- " أما أنا فأفيض على رأسي ثلاثا" وأشار بيديه كلتيهما[4].

---

[1] من بلاغة النبوة، عناصر التأثير في خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم، مجلة الأزهر، ص 33 رمضان 1381هـ، ص 1079.

[2] صحيح البخاري، البخاري، كتاب العلم، باب من أجاب الفتيا بالإشارة اليد والرأس ج1، ص42.

[3] صحيح البخاري، البخاري، كتاب العلم، باب من سئل وهو قائم عالما جالسا، ج1، ص 54.

[4] صحيح البخاري، البخاري، كتاب الغسل، باب الوضوء قبل الغسل، ج1، ص 86.

14) **الاشارة بالسبابة الوسطى**: عن عبد الله بن مسعود،عن النبي ﷺ قال:"لا يمنعن أحدكم –أو أحدا منكم–أذان بلال من سحوره، فانه يؤذن –أو ينادي– بليل، ليرجع قائمكم ،ولينبه نائمكم، وليس أن يقول الفجر–أو الصبح– وقال بأصابعه ،ورفعها الى فوق ،وطأطأ الى أسفل حتى يقول هكذا" وقال زهير بسبابتيه ،احداهما فوق الآخرى ،ثم مدها عن يمينه وشماله[1]

15) **الاشارة بالأصابع**:عن ابن ابي أوفى –رضي الله عنه– قال: كنت مع النبي ﷺفي سفر ،فصام حتى أمسى ،قال لرجل:"أنزل فاجدح لي "،قال:لو انتظرت حتى تمسي .قال:"أنزل فاجدح لي ،اذا رأيت الليل قد أقبل من هاهنا فقد أفطر الصائم " وأشار بأصبعه قبل المشرق"[2]

16) **تشبيك الأصابع** : عن أبي موسى رضي الله عنه، عن النبي – ﷺ– قال "إن المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشد بعضه بعضا" ويشبك أصابع[3].

فالتشبيك بالأصابع إشارة لبيان صورة التلاحم والترابط بين المسلمين، فالإشارة عبرت عن هذا الرابط وزادته تثبيتا في النفس لأجل تقريب الفكرة في الأذهان وترسيخ مدلولها.

عن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله – ﷺ– "الشهر هكذا وكذا وخنس الإبهام في الثالثة"[4].

---

[1] صحيح البخاري،البخاري،كتاب الآذان باب الاآذان قلب الفجر،ج1،ص172.

[2] صحيح البخاري ،البخاري،كتاب الصوم،باب تعجيل الافطار،ج2،ص23.

[3] صحيح البخاري، البخاري، كتاب المظالم والغضب، باب المظلوم، ج2. ص 158.

[4] صحيح البخاري: كتاب الصوم، باب قول صلى الله عليه وسلم "إذا رأيتم الهلال فصوموا وإذا رأيتموه فأفطروا"، ج2، ص 8.

17) **الإشارة إلى اللسان :**

عن ابن عمر رضي الله عنه قال النبي – ﷺ– "لا يعذب الله بدمع العين، ولكن يعذب بهذا" فأشار إلى لسانه[1].

وهذه الإشارة إلى هذا العضو الصغير لكن قد يكون جرمه كبير إذا استعمل في الشر.

عن ابن عمر – رضي الله عنهما – قال سمعت النبي ﷺيقول : "الفتنة من هنا" وأشار إلى المشرق[2].

18) **الإشارة إلى الجهـة :**

عن عبد الله رضي الله عنه قال : قام النبي – ﷺ– خطيبا فأشار نحو مسكن عائشة "فقال هنا الفتنة – ثلاثا – من حيث يطلع قرن الشيطان"[3].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ:"مثل البخيل والمنفق كمثل رجلين عليها جبتان من حديد، من لدن ثدييهما إلى تراقيهما فأما المنفق، فلا ينفق شيئا إلا مادت على جلده، حتى تجن بنائه، وتعفو أثره، وأما البخيل فلا يريد ينفق إلا لزمت كل حلقه موضعها، فهو يوسعها، فلا تتسع" ويشير بأصبعه إلى حلقه[4].

---

[1] صحيح البخاري: كتاب الطلاق، باب الإشارة في الطلاق والأمور، ج3، ص 553 .

[2] صحيح البخاري: كتاب الطلاق، باب الإشارة في الطلاق والأمور، ج3، ص 554 .

[3] صحيح البخاري: كتاب فرض الخمس باب ما جاء في بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، ج3، ص 358.

[4] صحيح البخاري: كتاب الشهادات، باب ما قيل في شهادة الزواج، ج2، ص 219.

عن سهيل بن سعد رضي الله عنهما، عن النبي ﷺقال :"أنا واليتيم في الجنة هكذا" وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى[1].

19) **الإشارة بتغيير الجلسة :**

عن عبد الرحمان بن أبي بكرة عن أبيه – رضي الله عنه – قال النبي ﷺ:"ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثة؟" قالوا : بلى يا رسول الله قال: النبي ﷺ:"الإشراك بالله وعقوق الوالدين وجلس وكان متكئا – فقال: "ألا وقول الزور" قال "فمازال يكررها حتى قلنا : ليته سكت"[2].

20) **الإشارة إلى الأنف**:عن ابن عباس –رضي الله عنهما–قال:قال النبي ﷺ:" أمرت أن أسجد على سبعة أعظم: على الجبهة –وأشار بيده على أنفه – واليدين، والركبتين ،وأطراف القدمين، ولانكفت الثياب و الشعرا.[3]

21) **الإشارة إلى السماء**: عن أنس بن مالك،قال:أصابت الناس سنة على عهد رسول الله ﷺ،فبين رسول الله ﷺيخطب على المنبر–يوم الجمعة– قان أعرابي ،فقال: يا رسول الله. هلك المال ،وجاع العيال ،فدع الله لنا أن يسقينا ،قال:فرفع رسول الله ﷺيديه ،وما في السماء قزعة ،قال :فثار سحاب ،أمثال الجبال،ثم لم ينزل عن منبره، حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته ،قال:فمطرنا يومنا ذلك ،وفي الغد، ومن بعد الغد،الذي يليه،إلى الجمعة الأخرى، فقام ذلك الأعرابي –أو رجل غيره– فقال: يا رسول الله: تهدم البناء ،وغرق المال ،فدعو الله لنا، فرفع رسول الله ﷺيديه

[1] صحيح البخاري: كتاب الأدب، باب فضل من يعول يتيما، ج4، ص 159.

[2] صحيح البخاري: كتاب الشهادات، باب ما قيل في شهادة الزور، ج2، ص 219.

[3] صحيح البخاري،البخاري ،كتاب الأذان ،باب السجود على الأنف،ج1، ص228.

،وقال:" اللهم حوالينا ولا علينا "،قال:فما جعل يشير بيديه إلى ناحية من السماء ،إلا تفرجت ،حتى صارت المدينة في مثل الجوبة ،حتى سال الوادي –قناة- شهر ،قال فلم يجيء أحد من ناحية إلا حدث بالجود.[1]

22) **الإشارة بالتبسم**: عن أنس بن مالك أن ابا بكر كان يصلي لهم في وجع النبي ﷺستر الحجرة ،ينظر الينا وهو قائم ،كأن وجهه ورقة مصحف ،ثم تبسم يضحك فهممنا أن نفتتن من الفرح برؤية النبي ﷺفنكص أبو بكر على عقبيه، ليصل الصف، وظن أن النبي ﷺخارج الى الصلاة، فأشار النبي ﷺ،أن:"أتمو صلاتكم" وأرخى الستر فتوفي من يومه .[2]

23) **الاشارة بالضحك**: عن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال:" بينما نحن جلوس عند النبي عليه الصلاة والسلام اذا جاء رجل فقال يارسول الله هلكت،قال:"مالك"قال:وقعت على امرأتي وأنا صائم فقال رسول الله ﷺ"هل تجد رقبة تعتقها" قال :لا .قال:" فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين " قال لا. فقال :" فهل تجد إطعام ستين مسكين " فقال لا .قال :فمكث النبي ﷺفبينما نحن على ذلك آتى النبي صلى الله عليه وسلم-بعرق فيها تمر- والعرق المكتل-قال:" أين السائل" فقال: أنا. قال:" خذها فتصدق به" فقال الرجل أعلى أفقر مني يارسول الله .فوالله مابين لابتيها يريد الحرثين أهل بيت أفقر من أهل بيتي،فضحك النبي ﷺحتى بدت أنيابه ثم قال :" أطعمه أهلك" [3]

---

[1] صحيح البخاري ،البخاري،كتاب الاستسقاء،باب من تمطر في المطر حتى يتحادر على لحيته، ج1، ص288

[2] صحيح البخاري ،البخاري ،كتاب الأذان ،باب أهل العلم والفضل أحق بالإيمان ،ج ص194.

[3] صحيح البخاري ،البخاري ،كتاب الصوم،باب إذا جامع فنسي رمضان ولم يكن له شيء فتصدق به غليه فيكفر ،ج3 ،ص33.

فضحك النبي ﷺكناية عن كمال تبسمه وظاهر السياق زيادة على التبسم وقيل من حال الرجل الذي جاء خائفا عن نفسه[1]

ومن خلال هذه الأحاديث نلاحظ ورود أحاديث نبوية شريفة فيها حركات جسدية ملمحة حين،ومصرحة حينا آخر،بدلالات بل قد تقوم تلك الحركات والإيماءات مقام كلمة أو كلمات أو جمل وقد تكون سبيل من سبل تجلية المعنى أو تمثيله.[2]

ومن خلال هذه الأحاديث نلاحظ المكانة العالية للبلاغة النبوية عند العلماء والأدباء فهناك من ذكر هذه الأحاديث في متن كتابه مستشهدا بها على بلاغة الرسول ﷺوهناك من خصص لها كتابا بعنوانه على البلاغة النبوية وهكذا نرى هذه النماذج البيانية في أروع صورها من قلب أطهر من الطهر، وهي في جملتها نبراس للبغاء بها يستضيئون ونبع للفصحاء منها يرتوون، وهي في قمة الإعجاز الأسلوب البشري فقد أوتي من الفصاحة عليه الصلاة والسلام والبيان مالم يدانيه أحد فيها إذا تكلم أوجز وأطلب وأشار وضحك وتبسم وغضب كلها تزيد في البيان، تطرق إلى أبواب لايحسنها سواه في عذوبة وأسلوب بديع واضح فصيح.

---

(1) إرشاد الساري ،لشرح صحيح البخاري، أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد المالك القسطلاني، كتاب الصوم ، باب إذا جامع في رمضان ولم يكن له شيء فتصدق به عليه فيكفر،ط7 ،مطبعة الأميرية (1323هـ) ،ج4 ،ص218.

(2) البيان بلا لسان، مهدي أسعد غرار ،ط1 ، دار الكتب العلمية لبنان (2007م) ،ص2001.